العدد (٤) ذو الحجة ١٤٣٨ هـ / أيلول ٢٠١٧م

الموعود

مجلة علمية تخصصية نصف سنوية تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

في هذا العدد:

- ردُّ الاستدلال برواية الوسيَّة على دعوى المهدويَّة ـ الشيخ أبو محمد القره غولي.
- تحصين الأنام من دعاوى الاتِّصال بالإمام عليه السلام ـ الشيخ جاسم الوائلي.
- عنصر الخفاء في القضية المهدوية ـ الشيخ حسين الأسدي.
- الشيخ النعماني وكتابه (الغيبة) ـ المرحوم الشيخ عامر الجابري.
- دور الأربعين في صناعة الشخصية المهدوية ـ الشيخ مشتاق الساعدي.
- سلمان المحمّدي رضي الله عنه وارتباطه بالعقيدة المهدوية ـ الشيخ د. عليّ الفياض.
- الدعاء المهدوي وآثاره في بناء الفكر والعقيدة ـ الشيخ حميد الوائلي.
- ضرورة وجود المعصوم عليه السلام ـ الشيخ إسكندر الجعفري.
- انتظار الفرج وأثره في الحدّ من الآفات الاجتماعية ـ محمّد باقر آخوندي.

الدعاء المهدوي وآثاره في بناء الفكر والعقيدة

البناء التوحيدي أنموذجاً

الشيخ حميد الوائلي

مقدّمة:

يُعتَبر الدُّعاء من أهمّ الأركان التي يستند إليها الإنسان في مسيرته نحو الله سبحانه وتعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً﴾ (الفرقان: ٧٧)، وورد في الرواية: «إنَّ الدُّعاء مخُّ العبادة»[1]، وبعد هذا لا يمكن لنا بأيِّ حالٍ من الأحوال إغفال الدُّعاء أو القفز عليه رضوخاً لبعض الإشكالات التي تثار هنا أو هناك. إذ أنَّه ومع وضوح دعوة القرآن الكريم والروايات الشريفة إلىٰ التزام منهج الدعاء عنصراً ثابتاً ويومياً في حياة الإنسان المؤمن ظهرت عندنا بعض النظريات التي ترفض هذا المنهج وقد تعتبر منه منهجاً مخالفاً حتَّىٰ للتوحيد.

الدعاء سبيل الموحّدين:

تتعدَّد ألسنة الذاهبين إلىٰ رفض الدُّعاء وأهمّيته في نظام الارتباط مع الله سبحانه وتعالىٰ وتأثيره علىٰ الحياة الدنيويَّة والأُخرويَّة معاً أو أحدهما.

فطائفة من هؤلاء يذهبون إلىٰ أنَّ الدعاء يصطدم مع نظام الأسباب والمسببات الذي خُلِقَ الكون علىٰ أساسه وجرت مقادير الأُمور علىٰ نظامه، فما دام لكلِّ شيء سبب وأنَّ هذا السبب لا يختلف ولا يتخلَّف، فالدعاء علىٰ

هـذا الأسـاس يكـون مـن قبيـل الأُمـور العبثيَّـة، فليـس هـو لا حاجـة لـه وحسـب، بـل قـد يسـتلزم التصـرّف العبثـي، والـذي قـد يجـرُّ في بعـض الأحيـان إلىٰ الابتـلاء بالمحـذور الشـرعي ومخالفـة الأحـكام الإلهيَّـة الموضَّحـة في محلِّهـا.

والجواب عن هذه الإشكاليَّة يتَّضح من خلال عدَّة زوايا:

فمـن زاويـة نقـول: إنَّ هـذا النظـام الأسـبابي ليـس حتميـاً بمعنـىٰ أنَّـه ليـس بنحـو لا يختلـف ولا يتخلَّـف، وانَّـما هـو بنحـو الاقتضـاء، أي بمعنـىٰ أن لـو جـرت مقاديـر الأُمـور دون دخـول عنـاصر أُخـرىٰ لهـا التأثـير في التغيـير لـكان الأمـر مبرمـاً ويجـري النظـام كـما هـو.

ومـن زاويـة أُخـرىٰ فـإنَّ هـذا الكـون الخاضـع لنظـام الأسـباب والمسـبَّبات هـو بجملتـه مخلـوق لله تعـالىٰ القـادر الحكيـم وهـو الـذي سـنَّ أثـر الدعـاء في التغيـير، كـما دلَّـت عليـه الآيـات، عـلىٰ مـا يـأتي، فالـذي خلـق الأشـياء وأوجدهـا، وسـنَّ نظـام السـببية، هـو نفسـه الـذي أَمَـرَ بالدعـاء وحـثَّ عليـه وبـيَّن مـن خـلال جملـة وافـرة مـن آيـات ذكـره وأحاديـث أوليائـه أنَّ الدعـاء يمتلـك مـن القـدرة الهائلـة عـلىٰ تغيـير وتبديـل حتَّـىٰ مـا أُبـرم إبرامـاً، فمـن يذعـن أنَّ الخالـق لنظـام الأسـباب والمسـبَّبات هـو الله لا بـدَّ أن يذعـن أنَّـه هـو بنفسـه تعـالىٰ خالـق لنظـام الدعـاء وآثاره وآمـر بـه. وبعبـارة واضحـة: إنَّ الدعـاء نفسـه يُعـبِّر عـن مفـردة مـن مفـردات نظـام الأسـباب والمسـبَّبات وليـس هـو مخالفـاً لهـا أو خارقـاً لنظامهـا.

هـذا إذا كان حديثنـا عـن الأثـر التكوينـي المترتّـب عـلىٰ الأشـياء وتغييرهـا بالدعـاء، أمَّـا إذا تحدَّثنـا عـن الآثـار المترتّبـة عـلىٰ الذنـوب والمعـاصي والتـي هـي بطبيعـة الحـال متأخِّـرة زمانـاً عـن فعـل المعصيـة، فالذنـب الصـادر مـن العـاصي في الدنيـا يُعاقَـب عليـه في الآخـرة وبعـد صـدور الذنـب يكـون هنـاك مجـال واسـع لأن يسـتغفر ويتـوب ويدعـو الله تعـالىٰ أن يمحـو الآثـار العقابيـة المترتّبـة عـلىٰ معصيتـه، فهـو وإن اسـتحقَّ العقـاب إلَّا أنَّ منجّزيتـه متأخِّـرة، والدعـاء يُحـدِث أثـره في الزمـان

الواقع بينهما، وهذه الصورة أوضح حالاً في كون الدعاء يُؤثِّر في رفع الأثر المترتّب وإن كان تكوينياً على المعصية من الصورة المتقدّمة.

وطائفة أُخرىٰ تقول: إنَّ الدعاء لا أثر له، ليس لعدم المقتضي فيه، كلَّا، بل الدعاء قادر على التغيير ولكن المؤمن الموحِّد الذي يؤمن بأنَّ كلَّ ما يقع عليه من ابتلاءات وامتحانات ومصائب هي لأجل رفع مرتبته وزيادة حظّه في القرب من الله تعالىٰ، فيكون الدعاء بعد هذه المعرفة خدشاً في توحيد الموحِّد وهبوطاً في مرتبة إيمانه، فالله (عزَّ وجلَّ) العالم بحال المؤمنين يُغنيهم عن سؤاله ورفع ما وقع عليهم بسببهم أو بسبب غيرهم، فمن كان موحِّداً عالي الدرجة مؤمناً مكتمل الإيمان لا يدعو.

والجواب عن هذا الإشكال له عدَّة مقامات نقتصر منها على واحد، وبيانه: أنَّ مرتبة التوحيد وسموّها وعلوّ الإيمان ودرجته نابع من أصل العبودية والخضوع فمتىٰ ما تجلَّت العبودية بأبرز صورها ارتقىٰ التوحيد وارتفع الإيمان إلىٰ أعلىٰ درجاته، وبعد أن أمر الله تعالىٰ وحثَّ وأكَّد على الدعاء كان لزاماً على المؤمن أن يأخذ به سبيلاً ليرفع مرتبته وإن كان لا يرجو أثره المادّي - ولو تَنَزُّلاً -، فالمدار في كون الإيمان يسير في سُلَّم التكامل للوصول إلىٰ أعلىٰ درجة منه هو العبودية التي يُمثِّل الدعاء حجر الزاوية فيها.

هذا وهناك إشكالات أُخر وإن اختلفت حدودها الوسطىٰ ككون الله عالماً بالغيب فإنَّه يقتضي عدم الدعاء، وكونه تعالىٰ قادراً يقتضي عدمه أيضاً، وهكذا.

إلَّا أنَّنا لا نخوض في تفصيلها فضلاً عن ردِّها بعد أن بيَّنّا فيما تقدَّم المفصل الأساس الذي يتَّكئ عليه الرافضون للدعاء وردِّه.

وفي قبال هذا الرفض المطلق تأتي مقولة أُخرىٰ تتَّكئ على جملة من النصوص القرآنية في الالتجاء إلىٰ الدعاء وقبوله بشكل مطلق بعيداً عن أيِّ

أسباب ومقوّمات أُخرىٰ، ومن بين ما يُعتَمد عليه من الآيات قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ (آل عمران: ٣٧)، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣)، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: ٨٠)، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢ و٣)، فهذه وغيرها من الآيات يُستَظهر منها - عند هؤلاء - التوجّه إلىٰ الدعاء، والتفرّغ للعبادة، وترك السعي في تحصيل الكسب.

وهو قول لا يمكن المصير إليه.

لأنّنا نعتقد أنَّ هناك نظاماً قائماً علىٰ أساس الأسباب والمسبَّبات، وأنَّ هذا النظام التكويني يتأثَّر بالدعاء بشكل واضح، حاله حال تأثير الأشياء الأُخرىٰ في النُّظُم التكوينية، فلا يمكن أن نُلغي هذا النظام ونعتمد علىٰ الدعاء فقط. فكما أنَّ للدعاء قسطاً من التأثير في مجريات العالم كذلك لبقيَّة الأسباب أقساطها الوافرة في التأثير، والوسطية هي قوام الأشياء - فهي نظرية أهل البيت عليهم السلام في نظام الارتباط مع الذات والصفات والآثار المرتبطة بهما -، فالدعاء له أثره كما أنَّ العمل له أثره، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه العقلاء.

الدعاء لبُّ التوحيد:

التوحيد لله تعالىٰ هو توحيده لصفاته العُلىٰ وأسمائه الحسنىٰ، وأنَّه إله واحد لا شريك له ولا شبيه، والموحِّد هو من أقرَّ بهذه الصفات وآمن بها علىٰ بصيرة ومعرفة ويقين وإخلاص، ومن لم يؤمن بذلك فهو ليس بموحِّد، وبين هذه وتلك رُتَبٌ لا يحصيها إلَّا الله تعالىٰ.

وقد تحدَّث جملة من العلماء عن أقسام التوحيد وعن حالات وصفات وشرائط وأُسس ينتظم عليها توحيد الموحِّدين.

والـذي نعتقـده أنَّ المنظومـة الدينيـة بأُصولهـا وفروعهـا وآدابهـا وسـننها هـي دائرة بـين دفَّتـي التوحيـد، فـكلُّ فعـل أمـر بـه الشـارع المقـدَّس يُمثِّـل حلقـة مـن حلقـات التوحيـد ومرقـاة مـن مـراقِ سُـلَّمه إذا آمـن بهـا وأدّاهـا المكلَّـف، وفي نفـس الوقـت فـإنَّ كلَّ نهـيٍ يُرتكـب أو عمـل يُؤتـىٰ بـه ممَّـا نهـىٰ الشـارع عنـه ولم يُجبِّـذ التلبُّـس بـه فإنَّـه يوجـب نـزول الفـرد المكلَّـف وخسرانـه درجـة مـن درجـات التوحيـد.

وممَّـا تحدَّثـت عنـه الروايـات الشـريفة أنَّ النبـيَّ الأكـرم صلى الله عليه وآله بُعِـثَ إلىٰ الأنبياء عليهم السلام وهـم في عـالم الأرواح، ودعاهـم هنـاك إلىٰ توحيـد الله وطاعتـه واتِّبـاع أمـره[٢].

فالطاعـة قبـل عالمنـا تُمثِّـل أمـارة التوحيـد وعلامتـه، فمـن يـرد أن يرقـىٰ في سُـلَّم كـمال التوحيـد عليـه أن يسـير في سُـلَّم العبوديـة، وأن يـذوب بعـد المعرفـة في عـالم الطاعـة.

ويُمثِّـل الإمـام المهـدي عليه السلام منتهـىٰ حلقـات التوحيـد، وعـلىٰ يديـه تظهـر للنـاس عيانـاً مراتـب مـا خفـي عليهـم مـن توحيـد الله تعـالىٰ، قـال تعـالىٰ: ﴿لِيُظْهِـرَهُ عَلَى الدِّيـنِ كُلِّـهِ﴾ (التوبـة: ٣٣).

ففـي صحيـح محمّـد بـن مسـلم، قـال: قلـت لأبي جعفـر عليه السلام: قـول الله (عـزَّ وجـلَّ): ﴿وَقَاتِلُوهُـمْ حَتَّىٰ لا تَكُـونَ فِتْنَـةٌ وَيَكُـونَ الدِّيـنُ لِلهِ﴾ (البقـرة: ١٩٣)، فقـال: «لم يجـئ تأويـل هـذه الآيـة بعـد، إنَّ رسـول الله رخَّـص لهـم بحاجتـه وحاجـة أصحابـه، فلـو قـد جـاء تأويلهـا لم يقبـل منهـم لكنَّهـم يقتلـون حتَّـىٰ يُوحَّـد الله (عـزَّ وجـلَّ)، وحتَّـىٰ لا يكـون شرك».

هـذا النـصُّ الشـريف يُـبرز لنـا أنَّ كـمال التوحيـد وتمامـه وظهـوره للعيـان سـيكون عـلىٰ يـد الإمـام المهـدي عليه السلام.

فالتوحيـد الـذي ينشـده الـكلُّ، والـذي يعتمـد عـلىٰ مـؤشّرات عباديـة وقُربيـة يُستكشـف مـن خلالهـا - أي المقدّمـات - مقامـات الموحِّديـن، إذ يُمثِّـل الدعـاء في هـذه المنظومـة التوحيديـة اللُّـبَّ.

إذ إنّ الدعـاء يمثّـل إشـعار النفـس الإنسـانية بالافتقـار، وضرورة اللجـوء

والالتجاء إلىٰ الوجود الغنيِّ المفيض، وهذه الحقيقة عينها حقيقة التوحيد[٣]، فيمكن أن نقول: إنَّ حقيقة الدعاء هو التوحيد بعينه، لأنَّ الدُّعاء[٤] يُعبِّر عن حالة الانكسار والتذلّل واللجوء والعبوديَّة إلىٰ ذلك الوجود الكريم المفيض الغنيّ القادر، وإذا دقَّقنا النظر في الآية الكريمة الآنفة الذكر نلاحظ أنَّها تلمح إلىٰ هذا المعنىٰ، إذ تُعبِّر أنَّ الله لا يعبأ بالعبد ما لم يكن صاحب دعاء، بينما الآيات القرآنية الكريمة الأُخرىٰ تقول: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ﴾ (النساء: ٤٨)، فبملاحظة الآيتين وإرخاء العنان لبصر القلب ليجول في الأحاديث الشريفة[٥] يجد المرء هذه الحقيقة وهي أنَّ الدعاء لُبُّ التوحيد ماثلة أمام عينيه.

جاء في (أُصول الكافي/ كتاب الدُّعاء) عن أبي جعفر عليه السلام أنَّه قال: «أفضل العبادة الدعاء»[٦]، وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام: «الدُّعاء عمود الدين»[٧].

وفي (الوسائل) عن النبيِّ صلى الله عليه وآله: «الدُّعاء مخُّ العبادة»[٨].

فهذه الأحاديث الشريفة خصوصاً الأخير منها تُعبِّر عن هذه الحالة التي ذكرناها، فعمود الدين وأفضل العبادة، بل مخّها هو الدعاء، ونحن نعلم أنَّ المخَّ هو لبُّ العقل - ليس المراد به المادّي، بل ذاك الذي تُعبِّر عنه بعض الروايات بروح العقل وجوهره، فالدعاء علىٰ هذا المعنىٰ يُمثِّل جوهر العبادة التي هي عمود الدين -.

فعلىٰ هذا تكون حقيقة الدُّعاء في الشريعة هي روح العبادة، وهو مخُّها، والعبادة بلا مخّ كإنسان من غير عقل.

فأرقىٰ حالات الإنسان وهي العبودية التي تجمَّل بها رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلىٰ عَبْدِهِ آياتٍ بَيِّناتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾ (الحديد: ٩)، لا تكون إلَّا بذلك المخّ، ولا تقف إلَّا علىٰ هذا العمود، وهو الدُّعاء.

فحقيقة الدُّعاء بكلمة واحدة أنَّه روح التوحيد، وحقيقة الإيمان، وقلب الإسلام.

فهل يمكن للإنسان أن يصل إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ دون هذه الحقيقة ودون الاعتماد عليها؟

وسائل الشريعة في التقرّب إلىٰ الله تعالى:

أوجدت الشريعة المقدَّسة جملة من الوسائل ليتقرَّب الإنسان من خلالها إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، والمدار في كلِّ هذه الوسائل القرب منه سبحانه.

وقد تشكَّلت المنظومة الدينية علىٰ أساس مجموعة من العبادات والقوانين التي تُنظِّم الحياة بما يمكن للإنسان الوصول بها والتقرّب إلىٰ ساحة القدس الإلهي، وبنظرة مجملة علىٰ المنظومة الدينية نجد أنَّ هناك أُصول الدِّين التي يجب الاعتقاد بها، وهي تُقرِّب إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، إذ بها يثبت وجود الله تعالىٰ وصفاته وحسن أفعاله. وبدون إثبات وجوده تعالىٰ كيف يمكن التقرّب إليه؟!

ولنأخذ علىٰ كيفية تكوينها للتوحيد في ذات الفرد وتنميتها له نماذج عدِّة:

الصلاة وتنمية التوحيد:

إذا نظرنا إلىٰ الصلاة كطقس عبادي وما أولت الشريعة المقدَّسة لها من أهمّية، إذ جعلتها عمود الدِّين[٩]، وهذا الجعل التشريعي ذو الآثار التكوينية يكتنز في حقيقته جذوراً توحيديةً تُؤهِّل الفرد للرقيِّ في سُلَّم التوحيد بشكل تكاملي أسرع ممَّا في غيرها، إذ تبدأ الصلاة بأن يُؤهِّل الإنسان نفسه للقاء الله، وتصوَّر معي شخصاً يذهب للقاء ذاتٍ تملك جميع مقدَّراته، وقادرة علىٰ تغيير جميع شؤونه، فلو نُظِرَ إليها هكذا فكيف سيكون استعداد الفرد لها؟!

ولم تترك الشريعة المقدَّسة مكلَّفيها باختيار الطريقة التي تُنظِّم هذا اللقاء القدسي، والذي يمتلك القدرة علىٰ أن يَعرُج بأرواح المصلِّين - إذا كانت صلاتهم ضمن ما أوصت به الشريعة المقدَّسة ظاهراً وباطناً - إلىٰ الملكوت الأعلىٰ ومحلِّ القدس.

فبدأت الشريعة المقدَّسة من مقدّمات هذا اللقاء والاستعداد له، فبعد أن

طوىٰ المؤمن مراحل المعرفة النظرية والعملية من خلال العقيدة الحقَّة التي توصَّل إليها عن جهد ونظر وفكر، جاءت مرحلة التطبيق وبدأت هنا المقدّمات لأُولىٰ مراحل الممارسة العملية في درب التوحيد.

إذ إنَّ أوَّل خطوةٍ يسير فيها العاشق لهذا اللقاء التوحيدي الفريد، والذي يمتلك قدرة إزالة جميع الأدران العالقة[١٠] هي أن يتَّجه صوب الطهارة الظاهرية لينسلَّ منها إلىٰ الطهارة الباطنية، فيذهب إلىٰ الوضوء ويلتمس الماء الذي وصفه القرآن بأنَّه مطهِّر الأشياء[١١]، فيغترف من ماء يمتلك القدرة علىٰ إزالة الذنوب ومحوها إن كان قرين هذا الماء النازل - علىٰ وجهه ويديه والممسوح ببقيَّته رأسه وقدميه - الإخلاص والعبودية.

وما أن يتمَّ السائر في طريق لقاء العشق والتوحيد وضوءه هذا حتَّىٰ تحيط به هالة النور[١٢] يحجبه عن كلِّ ظلمة، ليرقىٰ به في سُلَّم الذوبان والعبودية، ليصعد مدارج التوحيد.

فيبدأ بمدارج الصلاة من التوجّه بعد أن نزَّه مكانه وملبسه عن كلِّ ما يمنعه ويُؤثِّر في عروجه، فيُطهِّر المكان والثوب والبدن، ثمّ يتوجَّه صوب قبلة التوحيد ووجهة العشق، ليرفع يديه مؤذِّناً، ويخاطب غيره: أنَّني سأتوجَّه في سفر التوحيد مبتدئاً هذا السفر بجملة (الله أكبر) التي تُمثِّل مفتاح[١٣] باب العروج، ليطوي بعد هذه المرقاة مراقِ هذا السُّلَّم من خلال تلك الأذكار التي يترنَّم بها، وكأنَّها لغة خاصَّة في هذا العالم لا يسمعها إلَّا من قصد أن يُوحِّد بها معبوده، تلك اللغة التي قضىٰ الله تعالىٰ أن يجعلها خاصَّة بهذا الطريق، ليُجسِّد بعد هذا الخطاب لوناً من الخضوع وأيّ خضوع غاية التذلّل الذي فيه منتهىٰ الرفعة من خلال الركوع والسجود، ليشهد بعدهما أنَّه يتشرَّف بأن يحمل وسام العبودية، وما أن ينتهي من عروجه هذا حتَّىٰ يُسلِّم علىٰ جميع من سار في هذا الدرب من أولياء وصلحاء وملائكة وأنبياء.

إنَّها حقيقة توحيدية قادرة على أن تُنمّي ذات الفرد، بل والمجتمع، وتُحصِّنهم في منزلقات الطرق المتعرِّجة، لأنَّها إن تمَّت على أُصولها وضبطها السائرون على نهجها كان أقلُّ مراتبها أن تنهى عن الفحشاء والمنكر، والفحشاء والمنكر لغة من لغات التكبُّر والتغطرس وعبادة الذات وتفرّدها وفرعنتها الذي يقف بالضدِّ من طريق التوحيد ويُضعِفه.

وهناك المنظومة العملية كالتجارة والمعاملات وبناء الأُسرة وبناء المجتمع، فالتجارة مثلاً حركة تنموية للبناء الاقتصادي والتوسّع المالي، ولها شروطها وضوابطها العقلائية، فعندما يأتي الشارع بمقتضى سلطته ويفرض لتقنينها شروطاً تنظيمية وأخلاقية، ويُلزم العباد بهذه المنظومة المعاملاتية على مختلف الأصعدة وفي جميع جوانب الحياة المختلفة، فإنَّ التوجّه التوحيدي من هؤلاء الأفراد والذي يُشكِّل نموذجاً حيّاً ومتجسِّداً يمكن لنا أن نُطلِق عليه بالتوحيد المعاملاتي، إذ أنَّ التاجر وصاحب المصنع، بل حتَّى العامل بمقتضى التزامه بهذه الضوابط وآليات العمل وفق المنظومة الدينية فإنَّه يتحدَّث بلغة خاصَّة - لغة توحيدية - مفادها: إنّي أترك التشريعات غير السماوية، وأترك كلَّ تشريع لا يرتبط بالإله الواحد، وأتوجَّه إلى قوانين ونُظُم مشرَّعة من قِبَل إله واحد عالم وقادر وحكيم ومدبِّر.

فإنَّ هذه اللغة التي يتحدَّث بها هذا العبد هي لغة التوحيد في التشريع في جانبه المعاملاتي، وهذا توحيد حسّاس ومهمّ، وينبغي أن نلاحظ صعوبة الالتفات إليه، وفي نفس الوقت أن لا نُهمِل رعايته وتنميته، فكما أنَّنا نداري ونتعب ونُطوِّر ونُنمّي توحيدنا في الأسماء والصفات وفي العبادة والتوجّه، فلا بدَّ أن نُنمّي توحيدنا المعاملاتي، إذ أنَّه لا يختلف عن أخواته وإخوانه من أصناف التوحيد من حيث الأثر الروحي وما يُرتِّبه من ثواب على هذا الاعتقاد.

وهنا يأتي التساؤل الجوهري، ما هي أكثر الوسائل تقريباً إلى الله سبحانه وتعالى؟

إذا رجعنا إلىٰ القرآن وجدنا الله تعالىٰ يقول فيه: ﴿وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ﴾ (البقرة: ١٨٦).

فنجد أنَّ تحصيل القرب من الله سبحانه يحصل بالدعاء، ويُؤكِّد ذلك ما روي عن أبي عبدالله عليه السلام حيث قال: «عليكم بالدُّعاء فإنَّكم لا تقربون بمثله»[١٤].

فالآية والرواية تدلّان علىٰ حقيقة كون الدعاء هو الطريق الأقرب إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وإذا جعلنا المنظومة الدينية هو البدن فإنَّ روح ذلك البدن هو الدعاء، ولا حياة للبدن بلا روح، وإذا جعلنا المنظومة الدينية هي روح الإنسان فإنَّ مخَّ ذلك الروح ولبَّه هو الدعاء، ولا روح بلا مخّ.

إلىٰ هنا توصَّلنا إلىٰ حقيقة الدعاء وأهمّيته في المنظومة الإسلاميَّة بشكل مجمل، وفي الحقيقة هذه مقدّمة للدخول في الموضوع.

كيف يقوم الدعاء بعملية التنمية للفرد والمجتمع؟

إنَّ لكلِّ ظاهرة من ظواهر الوجود مجموعة من القوانين تحكمها، وظاهرة الدعاء من بين هذه الظواهر، وقد مرَّ بنا أنَّ الدعاء لُبُّ العبادة ومخُّ الدين، ولكي يأخذ الدعاء بأيدينا ليوصلنا إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ لا بدَّ أن تكون هناك مجموعة من القواعد تضبط هذه الحقيقة وتجعلها مؤثِّرة وفاعلة.

وإذا رجعنا إلىٰ الروايات الشريفة وجدنا أنَّها تُعطي للدعاء خصائص لا تُعطيها لغيره من وسائل القرب الإلهي، فتصفه بعض الروايات[١٥] بأنَّه مفاتيح النجاة، وأنَّه نور السماوات والأرضين، وأنَّه سلاح الأنبياء. وهذه الأوصاف وغيرها من الأوصاف الروائية إنَّما تريد أن تُعبِّر عن حالة يتمتَّع بها الدعاء وعن خصوصية يمتاز بها، وهي أنَّ له قدرة وفاعلية، علىٰ حدِّ تعبير بعض الروايات إنَّه يرد القضاء[١٦] المبرم، فهذه المعاني الروائية تريد أن تفتح لنا ولأبصارنا نافذة نطلُّ من خلالها علىٰ تلك الحقيقة النورانية التي يمتلكها الإنسان، والتي لها القدرة علىٰ تغيير كلِّ شيء والتأثير في كلِّ شيء إلىٰ حدٍّ

أنَّها تُغيِّر ما قُدِّر وأُبرم، وهذه الخصوصيات لا يمكن أن تكون إلَّا من إنسان عارف بها أوَّلاً ملتفت إلىٰ تأثيرها ثانياً، يحمل أهدافاً تجعل منه إنساناً كالأنبياء في نظرته إلىٰ تحقيق الأهداف، لأنَّ الأنبياء كانوا يملكون[١٧] هذا السلاح الذي له القدرة علىٰ التغيير والتأثير إلَّا أنَّهم لم يُفعِّلوه إلَّا لصالح المجتمع، وصالح ما يأخذ بالمجتمع إلىٰ القرب إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وهذا يعني أنَّه لا بدَّ من الإخلاص[١٨] بالدعاء، وأنَّ القلب الساهي والمشغول لا يُقبَل منه الدعاء[١٩].

فعملية تنمية الدعاء للفرد والمجتمع أسماها وأجلَّها لا تكون إلَّا من العارف الملتفت، صاحب الأُفق الواسع.

وهنا يأتي تساؤل: هل يمكن أن نضيف عنصراً ذا تأثير أكبر في فاعلية الدُّعاء وقدرته علىٰ تنمية الفرد والمجتمع أو لا؟

نرجع إلىٰ القرآن ونستفتيه في ذلك، فإنَّنا نجده يقول: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (النساء: ٦٥)، فنجده ينهانا في قوله تعالىٰ: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾ (النور: ٦٣)، عن جعل دعائنا كدعائه إذ هذه الآية تُعطي معنىً عاماً بأنّ النبي ﷺ لا يساوى مع غيره في كل شيء بما فيه الدعاء[٢٠]، وحيث إنَّ حديث الثقلين[٢١] فضلاً عن كثير من الروايات تجعل ذلك في الأئمَّة عليهم السلام[٢٢] وفي الإمام المهدي عليه السلام[٢٣] خصوصاً، فهو إمام الزمان.

وهذا يقتضي بطبعه وجود خصوصية زائدة مميّزة له عليه السلام فضلاً عن آبائه عليهم السلام في كلِّ شيء، ومن تلك الأشياء التي لهم فيها خصوصية هو خصوصية دعائهم وتميّزه عن دعائنا، وهذا ما نصَّت عليه الآية المتقدِّمة بتحذير المؤمنين من أن يجعلوا دعاء الرسول ﷺ - أي دعاء إمامهم - كدعاء بعضهم لبعض، فالآية تُحذِّر المؤمنين من مغبَّة الوقوع في محذور مساواة دعائهم لدعاء إمامهم.

فلا بدَّ أن نلتفت إليها ونجعلها من ضمن محاسبات تنمية الدعاء للذات والمجتمع حيث إنَّها تعني الخصوصية[٢٤] في المعصوم، وأنَّ لديه حالة الارتباط المباشر[٢٥] مع الله سبحانه وتعالىٰ ومن دون وسائط، ويكون كلامه مع الله تعالىٰ من خلال الدعاء مستجاباً بلا إشكال.

نماذج توحيديَّة في الدُّعاء المهدوي:

وينبغي أن يلتفت قبل الخوض في غمار هذا البحث أنّ للدعاء المهدوي نماذج ثلاثة تجدها مبثوثة في طيَّات البحث وهي:

١ - الدعاء من الإمام عليه السلام للناس أو عليهم.

٢ - الدعاء من المؤمنين للإمام عليه السلام.

٣ - الدعاء من المؤمنين لحوائجهم بالإمام عليه السلام، سواءً كان ذلك بأدعية واردة عنه أو بغيرها.

يُمثِّل الدعاء المهدوي نموذجاً من أرقىٰ النماذج الارتباطية التي تُهيّئ الأرضية الخصبة للبناء التوحيدي لدىٰ الأفراد والمجتمعات، فالمطالعات للمخزون الدعائي المرتبط بالإمام المهدي عليه السلام يوقف القارئ علىٰ كنوز وجدانية توحيدية مختزنة فيه قلَّ نظيرها في مكامن رفد وجداني آخر.

إنَّ الإمام المهدي عليه السلام يُشكِّل للداعي من خلال منظومة الدعاء المهدوي في بعدها التوحيدي عنصراً إلهياً تجسَّدت فيه إرادة السماء في بناء الكون توحيدياً، فهو عصارة تجارب الأنبياء التوحيدية ووريث علمهم اللَّدنّي.

فالارتباط به علىٰ هذا النحو يُوفِّر للأفراد، بل والمجتمعات حالة التنامي الدائم والتصاعد الروحي واكتشاف الذوات.

فالدّاعي للإمام المهدي عليه السلام يُخاطِب الشخص الأوَّل في الوجود، صاحب القدرة المطلقة والخُلُق السامي، لكي يُهيِّئ له فُرَص ممارسة دوره في بناء نفسه وتجلية روحه للوقوف علىٰ جادَّة طريق التوحيد.

ومن جهة الإمام فهو الشخص الوحيد المخوَّل من قِبَل الله تعالىٰ، والذي

يملك الصلاحيات التامَّة في إعانة الأشخاص على تخطّي الصعاب في هذا المضمار.

فالقضيَّة متحقِّقة من جميع اتِّجاهاتها.

ولم يبقَ فيها إلَّا أن نتوجَّه بالدعاء بأرضية الإخلاص لنيل المطلوب.

وفيما يلي نماذج من النصوص الشريفة التي تحدَّثت عن أثر الإمام المهدي عليه السلام في التنمية التوحيدية، وكيف يكون الدعاء له أو مقروناً به موجباً للآثار العظيمة.

النموذج الأوَّل: الآثار التكوينية للإيمان المهدوي:

النصوص التي تتحدَّث عن الآثار التكوينية والكبيرة لمن يؤمن بالإمام المهدي عليه السلام، وأنَّ هذا الإيمان من هؤلاء الأفراد بإمامهم الغائب له حالة لا يراها الناس، بل قد لا يؤمنون بها ولا يُصدِّقونها، إذا لم يستهزؤوا بها ويصفوا من يؤمن بها بالخرافي أو الرجعي الباطني.

فعن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال: «يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فيا طوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان، إنَّ أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم الباري (جلَّ جلاله) فيقول: عبادي - عبيدي - وإمائي آمنتم بسرّي وصدَّقتم بغيبتي فأبشروا بحسن الثواب منّي، فأنتم عبادي وإمائي حقّاً منكم أتقبَّل وعنكم أعفوا ولكم أغفر وبكم أسقي عبادي الغيث وأدفع عنهم البلاء ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي...»[٢٦].

ويُستفاد من الحديث عدَّة أُمور:

الأوَّل: تقسيم العباد على قسمين: الأوَّل صاحب كمالات وملكات ومؤهّلات عالية جدّاً تكون سبباً في بقاء القسم الثاني وغفران ذنبه وديمومة الحياة له، ولولا القسم الأوَّل لما كان للقسم الثاني كرامة في الحياة وفوز في المعاد.

الثاني: أنَّ القسم الأوَّل من العباد - الحقيقيين الموحِّدين العارفين حقّ المعرفة - ملاكهم في تحصيل هذه المرتبة من القرب الإلهي وامتلاك المؤهّلات العليا هو الثبات على إمامة الإمام المهدي عليه السلام في زمان غيبته.

وهذا العنصر - الإيمان بالإمام المهدي في زمان غيبته - حسب هذا النصّ

لـه قـدرات تكوينيـة خفيَّـة لا يعرفهـا فضـلاً عـن أن يراهـا إلَّا مـن تأهَّـل لمراتـب إيمانيـة عاليـة.

الثالث: أنَّ أدنىٰ مرتبة يملكها المؤمنون بغيبة الإمام المهدي عليه السلام هي:

١ – أنَّ الله تعـالىٰ يُكلِّمهـم – يناديهـم البـاري –، فلهـم بهـذا الإيـمان صفـة الحديث مـن قِبَـل الله تعالىٰ.

٢ – أنَّ الله تعالىٰ يُبشِّرهم بحسن الثواب منه، وهذا بعد أُخروي.

٣ – أنَّهم عباد الله تعالىٰ الحقيقيون سواء من كان منهم ذكراً أم أُنثىٰ.

٤ – أنَّ أعمالهـم وأفعالهـم ودعاءهـم وكلَّ مـا يصـدر منهـم فهـو مقبـول عنـد الله تعـالىٰ.

٥ – أنَّ عفو الله تعالىٰ وغفرانه ثابت لهم.

٦ – أنَّ الأرزاق – نزول الغيث – للعباد الآخرين إنَّما يكون بسببهم.

٧ – أنَّهم يُشكِّلون المانع من نزول العذاب علىٰ المؤمنين والعباد الآخرين.

٨ – أنَّ البلاء يندفع بهؤلاء المؤمنين الحقيقيين عنهم وعن غيرهم.

هـذه هـي أدنـىٰ مرتبـة وآثارهـا التـي يملكهـا المؤمنـون بغيبـة الإمـام عليه السلام، والتـي هـي أقـلّ مـا لهـؤلاء، إنَّـما جـاءت بسـبب إيمانهـم بالغيبـة، فكيـف هـي الآثـار في المراتـب المتوسّـطة أو العليـا؟

ومـا هـي يـا تـرىٰ الآثـار التـي لمرتبـة الإمـام عليه السلام؟ وكيـف سـيكون دعـاؤه للمؤمنـين بـه وآثـار تنميتـه لتوحيـد المؤمنـين؟

هـذا إن قصـرنا نظرنـا بمقتضـىٰ النـصّ المتقـدِّم عـلىٰ الآثـار التكوينيـة المترتّبـة عـلىٰ الدعـاء، ولاحظنـا كيـف أنَّ أدنـىٰ مراتبـه هـي في نظرنـا القـاصر عاليـة جـدّاً، وإذا لاحظنـا نصوصـاً أُخـرىٰ كدعـاء الافتتـاح الـذي كان يدعـو بـه السـفير الثـاني رضي الله عنه والـذي جـاء فيـه بعـد حمـد الله وذكـر الأئمَّـة عليهم السلام وآثارهـم الاعتقاديـة عـلىٰ الدعـاء واسـتجابته ذكـر القائـم عليه السلام في عـدَّة مقاطـع منهـا: «اللَّـهُمَّ أَعِـزَّهُ وَاعْـزِزْ بِـهِ، وَانْصُرْهُ

وَانْتَصِرْ بِهِ...، اللَّهُمَّ أَظْهِرْ بِهِ دِينَكَ...، اللَّهُمَّ الْمُمْ بِهِ شَعَثَنا، وَاشْعَبْ بِهِ صَدْعَنا، وَارْتُقْ بِهِ فَتْقَنا، وَكَثِّرْ بِهِ قِلَّتَنا، وَأَعْزِزْ بِهِ ذِلَّتَنا، وَاغْنِ بِهِ عائِلَنا، وَاقْضِ بِهِ عَنْ مَغْرَمِنا، وَاجْبُرْ بِهِ فَقْرَنا، وَسُدَّ بِهِ خَلَّتَنا، وَيَسِّرْ بِهِ عُسْرَنا، وَبَيِّضْ بِهِ وُجُوهَنا، وَفُكَّ بِهِ أَسْرَنا، وَأَنْجِحْ بِهِ طَلِبَتَنا، وَأَنْجِزْ بِهِ مَواعيدَنا، وَاسْتَجِبْ بِهِ دَعْوَتَنا، وَأَعْطِنا بِهِ سُؤْلَنا، وَبَلِّغْنا بِهِ مِنَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ آمالَنا، وَأَعْطِنا بِهِ فَوْقَ رَغْبَتِنا، يا خَيْرَ الْمَسْؤولينَ وَأَوْسَعَ الْمُعْطينَ، اشْفِ بِهِ صُدُورَنا، وَأَذْهِبْ بِهِ غَيْظَ قُلُوبِنا، وَاهْدِنا بِهِ لِما اخْتُلِفَ فيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدي مَنْ تَشاءُ إِلىٰ صِراط مُسْتَقيم، وَانْصُرْنا بِهِ عَلىٰ عَدُوِّكَ وَعَدُوِّنا إِلـهَ الْحَقِّ آمينَ».

فهذه النصوص القدسية يُعبِّر كلُّ فقرة من فقراتها عن دعاء مهدوي يُنمّي الذات التوحيدية من خلال عقيدة الارتباط المهدوي، وأنَّ لولاها لما أمكن تحصيل هذه القضايا والطلبات والمنايا.

وبهذه المقاطع تستجلىٰ أكثر عقيدة التنمية التوحيدية للإمام عليه السلام.

النموذج الثاني: المعرفة للإمام موجبة لدعاء غير محجوب:

ذكرت جملة من الأحاديث أنَّ المعرفة والإيمان لا يكونان في فرد ما لم يؤمن بالإمام عليه السلام، وأنَّ ادِّعاء الإيمان لا يصحُّ من شخص ما لم يكن هذا الادِّعاء مقروناً منه بالاعتقاد والإيمان به عليه السلام علىٰ حدِّ تعبير الآية: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٤).

فتكون معرفة الإمام والإيمان به هي الأرضية الأُولىٰ التي ينطلق منها الفرد لتنمية إيمانه، إذ بدونهما لا إيمان أصلاً - لا يوجد مقتضٍ لكي يُبحَث عن وجود مانع من عدمه -.

ومن بين تلك النصوص:

عن ابن أذينه، عن أحدهما عليهما السلام أنَّه قال: «لا يكون العبد مؤمناً حتَّىٰ يعرف الله ورسوله والأئمَّة كلهم وإمام زمانه، ويردّ إليه ويُسلِّم له...»[٢٧].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «إنَّما يعرف الله ويعبده من عرف الله وعرف إمامه

منّا أهل البيت، ومن لا يعرف الله (عزَّ وجلَّ) ولا يعرف الإمام منّا أهل البيت فإنَّما يعرف ويعبد غير الله، هكذا والله ضلالاً»[٢٨].

فالإيمان بمقتضىٰ هذه النصوص الشريفة مرهون بالإمام المهدي عليه السلام، لأنَّ الإمام هو السالك بالعباد في طرق الدنيا، بل عن طرق الأرض فضلاً عن طرق السماء، فمن يرد أن يثبت إيمانه ويعظم وينمي لا بدَّ له من قائد يقود إيمانه للرقّي والتنمية، ولا بدَّ أن يكون هذا القائد عارفاً بتلك الطرق ومنعرجاتها، وأن تكون معرفته تلك لدُنّية، ليأمن السالكون خلفه الوقوع في منزلقات الطريق، وقد أشار الإمام الباقر عليه السلام إلىٰ هذا بحديثه إلىٰ أبي حمزة قائلاً له: «يخرج أحدكم فراسخ فيطلب لنفسه دليلاً وأنت بطرق السماء أجهل منك بطرق الأرض، فاطلب لنفسك دليلاً»[٢٩].

والدعاء لتنمية الإيمان سفر في طرق السماء، فلا بدَّ أن نطلب له دليلاً.

فمن هو الدليل؟

دعاء الإمام عليه السلام هو الدليل:

يجيب الإمام الرضا عليه السلام بقوله: «الإمام الدليل علىٰ السالك، من فارقه هالك...، الإمام أمين الله في أرضه، وحجَّته علىٰ عباده، وخليفته في بلاده، الداعي إلىٰ الله»[٣٠].

وفي حديث للإمام الصادق عليه السلام يروي فيه خطبة للنبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله جاء فيها: «والنصيحة لأئمَّة المسلمين واللزوم لجماعتهم، فإنَّ دعوتهم محيطة من ورائهم...»[٣١].

فإنَّ دعاء الأئمَّة عليهم السلام للمؤمنين يكفيهم ويحيط بهم من جوانبهم ويحفظهم، بل إنَّ الإمام عليه السلام يُصرِّح بذلك في توقيعه المروي في (الاحتجاج)[٣٢]: «لأنَّنا من وراء حفظهم بالدعاء الذي لا يُحجَب عن ملك الأرض والسماء، فليطمئنَّ بذلك من أوليائنا القلوب...».

فالإمام من خلال هذا النصّ الشريف ضمن الدعاء لأوليائه الذين تحدَّثت

النصوص عنهم في الأمر الأوَّل، وأنَّ هذا الدعاء منه عليه السلام موجب لاطمئنان نفوسهم - إن كانوا أولياء حقّاً -، وهذا الدعاء سمته أنَّه لا يُحتَجب عن ملك الأرض والسماء.

فممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الدعاء الصادر من الإمام عليه السلام يكون موجباً لتنمية إيمان الأفراد والمجتمعات.

ولم يكتفِ الأئمَّة عليهم السلام بهذه المرتبة لتقوية إيمان المؤمنين بهم بتعقّب دعائهم وتنمية إيمانهم، بل تجاوز الأمر إلىٰ متابعة شؤونهم الشخصية والشعور بما ينالهم من همٍّ وحزن، فقد ورد أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام خاطب أحد أصحابه قائلاً له: «يا رميلة، ليس من مؤمن يمرض إلَّا مرضنا بمرضه، ولا يحزن إلَّا حزنا بحزنه، ولا يدعو إلَّا أمنّا لدعائه، ولا يسكت إلَّا دعونا له...»، ثمّ قال له: «يا رميلة، ليس يغيب عنّا مؤمن في شرق الأرض ولا في غربها»[٣٣].

والنصُّ واضح الدلالة في أنَّ الإمام عليه السلام يسعىٰ إلىٰ تقوية دعاء الداعي، فإن لم يكن في البين دعاء تصدّىٰ هو بنفسه للدعاء عنه. نعم لا بدَّ أن يكون المؤمن بتلك المرتبة التي تؤهّله لذلك، إذ المقتضي لا بدَّ أن يكون منه.

هذا وقد سجَّلت بعض الروايات الشريفة للإمام المهدي عليه السلام كما لآبائه عليهم السلام أثراً وجودياً يرتبط بالدعاء حاصله: أنَّ محض وجوده المبارك هو دافع للبلاء عن شيعته وأهله كما في النصِّ الوارد عن طريق أبي نصر، قال: دخلت علىٰ صاحب الزمان عليه السلام فقال: «... أنا خاتم الأوصياء، وبي يدفع الله (عزَّ وجلَّ) البلاء عن أهلي وشيعتي».

فمن مجموع النصوص المتقدِّمة يمكن أن يُستفاد التالي:

١ - أنَّ الإيمان مقرون بالإمام عليه السلام.

٢ - أنَّ تنمية الإيمان لا يكون إلَّا من خلال دلالة الإمام عليه السلام.

٣ - أنَّ الإمام عليه السلام يباشر هذه المهمَّة من خلال عدَّة تدبيرات، ويقوم بخطوات متعدِّدة في سبيل تكميل إيمان الأفراد المؤمنين به، ومن بين تلك الخطوات التي

يقوم بها عليه السلام الدعاء، حيث نصَّت بعض الأخبار المتقدِّمة أنَّ التأمين علىٰ دعاء المؤمنين حالة ثابتة من الإمام عليه السلام لمن كان منهم في مشرق الأرض أو غربها، فإن لم يكن منهم دعاء تبرَّع الإمام عليه السلام بالدعاء لهم.

٤ – أنَّ دعاء الإمام عليه السلام يتمتَّع بخصوصية أنَّه لا يُحجَب عن الله تعالىٰ. وإنَّ أقلّ مراتب وجوده المبارك في هذا الزمان هو دفع البلاء، لكي تتهيَّأ الأرضية وترتفع الموانع عن المؤمنين لاستكمال إيمانهم وتنمية ذواتهم.

وأثناء التتبّع في النصوص الشريفة التي تدور رحاها حول هذا الموضوع وجدت رواية شريفة لها مفاد عالٍ جدّاً ومضمون راقٍ يتحدَّث عن حقيقة المؤمن ومكانته لدىٰ إمامه حيث كتب السيِّد ابن طاووس في كتاب الحجَّة في وصيَّته لولده في ما يحفظ فيه للإمام عليه السلام من حقٍّ وأن يعرض حوائجه عليه جاء فيه: (وممَّا أقول لك يا ولدي محمّد ملأ الله (جلَّ جلاله) عقلك وقلبك من التصديق لأهل الصدق والتوفيق في معرفة الحقِّ: إنَّ طريق تعريف الله (جلَّ جلاله) لك بجواب مولانا (المهدي) صلوات الله وسلامه علىٰ قدرته (جلَّ جلاله) ورحمته، فمن ذلك ما رواه محمّد بن يعقوب الكليني في كتاب (الوسائل) عمَّن سمّاه، قال: كتبت إلىٰ أبي الحسن عليه السلام أنَّ الرجل يجب أن يُفضي إلىٰ إمامه ما يجب أن يُفضي به إلىٰ ربِّه؟ قال: فكتب: «إن كانت لك حاجة فحرِّك شفتيك فإنَّ الجواب يأتيك...»)[٣٤].

ولا يهمّنا التعرّض لسند الحديث باعتبار أنَّه حسب الظاهر موافق للمبادئ العامَّة التي عليها النصوص العقائدية. والملاحَظ فيه أنَّ الحديث عن السرعة في الإجابة بمجرَّد تحريك الشفتين.

ثمّ إنَّ حديثنا في إطار النماذج المتقدِّمة كان حديثاً عامّاً وليس لخصوص فردٍ بعينه، وعن آثار الدعاء في تنمية التوحيد وكيف يُؤثِّر ذلك في عملية توحيده، وهذه قضيَّة استجلب خيرَها الكثيرُ ممَّن عمل بها، وينبغي أن تخرج

عـن إطارهـا الفكـري التنظـيري لتلبـس ثوبـاً تجريبيـاً، إذ أنَّ الكثـير مـن القضايـا الاعتقاديـة وآثارهـا عـلىٰ الفكـر والسـلوك يدخـل في إطـار التجربـة بمعنـىٰ أنَّ هنـاك مقـولات تصـل إلينـا عـن آثـار قضايـا غـير مرئيـة لنـا، ونحـن نؤمـن تبعـاً للعقيـدة الإيمانيـة بـالله تعـالىٰ والأئمَّـة عليهم السلام، ولكـي نُخـرج هـذه العقيـدة مـن حالـة المعرفـة النظريـة إلىٰ حالـة الممارسـة العمليـة يمكـن لأيِّ فـردٍ منّـا أن يأخـذ نموذجـاً مـن هـذه النـماذج ويـداوم عليـه فـترة مـن الزمـن بقصـد اسـتجلاب آثـاره التكوينيـة، إذ أنَّ الكثـير مـن الروايـات تحدَّثـت عـن أنَّ هنـاك آثـاراً للتوحيـد عـلىٰ نفسـية المؤمـن، وأنَّ هنـاك آثـاراً للصـلاة والصـوم مثـلاً عـلىٰ نفسـية المؤمـن وسـلوكه، بـل إنَّ جملـة مـن الدراسـات أكَّـدت مـا قـرَّره الشـارع المقـدَّس عـلىٰ لسـان الوحـي قبـل مئـات مـن السـنين بـأنَّ النفسـية الكلّيـة والرعايـة الأبويـة للنبـيِّ صلى الله عليه وآله أو الإمـام عليه السلام في أُمَّتـه تُؤثِّـر أثرهـا وإن لم نتمكَّـن مـن الشـعور بذلـك الأثـر كـما في حديـث المعـراج عـن أنَّ النبـيَّ صلى الله عليه وآله لـو فعـل فعـالاً معيَّنـة لتأثَّـرت الأُمَّـة بتلـك الفعـال[٣٥]، وهـذا النمـوذج التجريبـي - الـذي يُجسِّـد التنظـير الفكـري العقـدي لأُمَّهـات العقائـد الإسـلاميَّة ومنهـا الدعـاء خصوصـاً المختـصّ منـه بالإمـام المهـدي عليه السلام وأثـره في تنميـة التوحيـد - يمكـن أن يُعَـدَّ منهجـاً تربويـاً يختلـف عـن كثـير مـن المناهـج التـي يُـراد لهـا أن تكـون ميزانـاً للتربيـة وانعكاسـاً لأخـلاق أفـراد الأُمَّـة.

والآن نتحـدَّث عـن نـماذج أثَّـر الدعـاء في تنميتهـا وثبـات أصحابها علىٰ الاسـتقامة والتوحيـد فضـلاً عـن تحصيـل آثـار دنيويـة أُخرىٰ:

الأوّل: أحمـد بـن إبراهيـم يُكنّـىٰ أبـا حامـد المراغـي، وهـو مـن أصحـاب الإمـام العسـكري عليه السلام، وقـد خـرج فيـه مـن صاحـب الأمـر عليه السلام توقيـع عـلىٰ يـد محمّـد بـن أحمـد بـن جعفـر القمّـي العطّـار: «وقفـت عـلىٰ مـا وصفـت بـه أبـا حامـد أعـزَّه الله بطاعتـه، وفهمـت مـا هـو عليـه تمَّـم الله ذلـك لـه بأحسـنه، ولا أخـلاه مـن تفضُّلـه عليـه، وكان الله وليَّـه أكثـر السـلام وأخصـه...»[٣٦].

والتوقيع واضح في الدعاء بأحسن ما يمكن أن يتفضَّل الله على عبده المؤمن، وأن يتولّاه، وأن لا يخليه ممَّا تفضَّل به عليه.

الثاني: توقيعه عليه السلام في الدعاء لعثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه عند تعزيته لولده محمد حيث جاء فيها: «نضَّر الله وجهه وأقاله عثرته»[٣٧]. وكذا ما ورد في الابن من قوله عليه السلام: «أرشدك الله وثبَّتك»[٣٨].

ومما ورد كذلك في دعاءه عليه السلام للحسين بن روح رضي الله عنه السفير الثالث في توقيع لمن سأل عن حاله رضي الله عنه حيث جاء فيه: «زاد الله في إحسانه إليه...»[٣٩].

الثالث: وهو ما خرج للقاسم بن العلاء حيث نُعيت فيه إليه نفسه وكان ابنه يرتكب المعاصي، فورد الدعاء له: «ألهمك الله طاعته وجنَّب معصيته... قد جعلنا أباك إماماً لك وفعاله لك مثالاً»[٤٠].

وأثر الدعاء في استقامة الابن واضح.

الرابع: ما ورد لإسحاق بن يعقوب رضي الله عنه والحميري رضي الله عنه في جملة تواقيعٍ حيث ورد للأول: «أمّا ما سألت عنه أرشدك الله وثبَّتك...»[٤١].

وأمّا محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري رضي الله عنه فقد سأل الإمام عليه السلام الدعاء له ولإخوانه فخرج التوقيع: «جمع الله لك ولإخوانك خير الدنيا والآخرة»[٤٢].

وفي توقيع آخر للحميري رضي الله عنه أيضاً سأله الدعاء فخرج الجواب منه عليه السلام: «جاد الله عليه بما هو جلَّ وعلا أهله، إيجابنا لحقِّه، ورعايتنا لأبيه رحمه الله وقرَّبه منّا بما علمناه من جميل نيَّته ووقفنا عليه من مخالطته المقرِّبة له من الله التي ترضي الله عزَّ وجلَّ ورسوله وأولياءه... وأن يصلح له من أمر دينه ودنياه ما يحبُّ صلاحه إنه وليٌّ قدير»[٤٣].

النموذج الثالث: الدعاء بتعجيل الفرج:

فقد ذُكِرَ في النصوص الشريفة أنَّه عليه السلام خاطب أتباعه ومريديه بالإكثار من دعاء الفرج له، فقد روى الشيخ الطوسي بسنده عن جعفر بن محمّد

بـن قولويـه وأبي غالـب الـرازي وغيرهـم، عـن محمّـد بـن يعقـوب الكلينـي، عـن إسـحاق بـن يعقـوب، قـال: سـألت محمّـد بـن عثـمان العمـري رحمه الله أن يوصـل إليَّ كتابـاً قـد سـألت فيـه عـن مسـائل أُشـكلت عـليَّ، فـورد التوقيـع بخـطِّ مولانـا صاحـب الـدار عليه السلام: «أمَّـا مـا سـألت عنـه أرشـدك الله وثبَّتـك مـن المنكريـن لي مـن أهـل بيتنـا وبنـي عمّنـا، فأعلـم أنَّـه ليـس بـين الله (عـزَّ وجـلَّ) قرابـة، ومـن أنكـرني فليـس منّـي...، وإنّي لأمـان أهـل الأرض كـما أنَّ النجـوم أمـان لأهـل السـماء، فأغلـق السـؤال عـمَّا لا يعنيكـم، ولا تتكلَّفـوا عـلىٰ مـا قـد كفيتـم، وأكثـروا الدعـاء بتعجيـل الفـرج فـإنَّ ذلـك فرجكـم»(٤٤).

فـإنَّ الغـوص في أعـماق هـذا الدعـاء يُـري أنَّ فيـه نموذجـاً توحيديـاً وانتـماءً عقائديـاً كبـيراً حيـث إنَّ ثمـرات هـذا الدعـاء والتوجُّـه إلىٰ الإمـام عليه السلام مـن خـلال الدعـاء لـه والطلـب مـن الله سـبحانه وتعـالىٰ بتعجيـل فرجـه فـإنَّ الدعـاء بهـذا المعنـىٰ يوجـب حصـول التنميـة والزيـادة كلَّـما حصـل الإكثـار.

فالأمـر بـه في النـصِّ الشـريف لـه أثـره الكبـير في القـرب مـن الإمـام مـن جهـة، والتلبُّـس بصفـة الإكثـار بالدعـاء مـن جهـة أُخـرىٰ، والتـي حـثَّ عليـه نصـوص شريفـة(٤٥)، كـما أنَّـه - هـذا الإكثـار - موجـب لقـرب الفـرج لنفـس الدّاعـي، إذ بظهـور الإمـام عليه السلام سـيحصل الفـرج للجميـع دون اسـتثناء.

ولا بـدَّ للوقـوف حـول هـذه المفـردة التوحيديـة في الدعـاء مـن أن نتحـدَّث عـن الفـرج الفكـري، وكيـف أنَّ الظهـور الشـريف للمـولىٰ صاحـب العصـر والزمـان عليه السلام يُشـكِّل للمؤمنـين بـه فرجـاً عـلىٰ صعيدهـم الفكـري، كـما أنَّـه وفي نفـس الوقـت يُشـكِّل فرجـاً لهـم عـلىٰ صعيـد الاعتقـاد والعبـادة والاجتـماع والاقتصـاد وغيرهـا مـن المناحـي، كـما أنَّـه ينبغـي أن لا يُغفَـل حصـول الفـرج النفسـي والأخلاقـي والتربـوي، بـل وغيرهـا ممَّـا يخفـىٰ علينـا ولا نعلمـه وسـيُظهِره عليه السلام إذا مـا أكثرنـا مـن الدعـاء لـه، وكان دعاؤنـا موجبـاً للتفريـج عنـه. وهـذا نمـوذج توحيـدي راقٍ.

خاتمة: الدعاء من الإمام عليه السلام على الأشخاص وأثره في الخسران:

تقدَّمت أهمّية الدعاء ودوره في بناء المنظومة التوحيديَّة، وأنَّ الدُّعاء المهدوي إذا ما تحقَّق من أيِّ فردٍ من أفراد الأُمَّة فإنَّه سيكون مورداً لاستجلاب التنمية التوحيديَّة وأثرها في بناء الشخصية المؤمنة، وبالتالي فإنَّ الدُّعاء سينتج أشخاصاً يحملون عقيدة توحيدية رصينة يجابهون بها مخاطر الانحرافات والانزلاقات التي تحصل للأفراد أثناء مسيرتهم التكاملية في السلوك إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، فالمنظومة الدُّعائية - ذلك المخزن الكبير الذي رفدت السماء به أبناء العقيدة المحقَّة - تمتلك وكما سلف الآثار التكوينيَّة التي يتأهَّل بها أصحاب العقيدة لنيل الغايات الكُبرىٰ، ولا يخفىٰ أنَّ لهذه المنظومة العملاقة أساسيات وضوابط لا تنتج الثمار إلَّا من خلالها.

وعلىٰ العكس من هذا يقف الدعاء علىٰ الأشخاص موقف المانع من تحصيل الكمالات، بل وفي بعض الأحيان موقف سَلب المقتضي، وقد انعكس من خلال الموارد التي سجَّلتها كُتب التراجم والمعاجم حيث ورد فيها أنَّ هناك أشخاصاً كانت لهم مميّزات خاصَّة، ولكن ورغم المميّزات الفريدة التي تمتَّعوا بها ولفترات طويلة وأهَّلتهم أن يكون الواحد منهم مشاراً إليه ورئيساً في قومه وشاخصاً يلتجأ إليه عند حلول النوائب الفكرية أو الاجتماعية فإنَّه وبسبب اختلال المنظومة الدعائية لديه سُلِبَ منه ما كان يتمتَّع به، ومن النماذج التي بَرزت في التاريخ والتي سُجِّلت عليها هذه الملاحظة من قِبَل الأئمَّة المعصومين عليهم السلام هو عُروة بِن يحيىٰ النَّخاس الدهقان.

حيث روىٰ الكشّي رحمه الله في رجاله علىٰ ما نقله الشيخ الطوسي رحمه الله عنه في اختيار معرفة الرجال[٤٦] حيث قال: حدَّثني محمّد بن قولويه الجمّال، عن محمّد بن موسىٰ الهمداني: أنَّ عروة بن يحيىٰ البغدادي المعروف بالدهقان لعنه الله وكان يكذب علىٰ أبي الحسن عليِّ بن محمّد بن الرضا عليهم السلام وعلىٰ أبي محمّد الحسن بن

عـليٍّ عليه السلام بعـده، وكان يقطـع أمواله لنفسـه دونـه ويكـذب عليـه، حتَّـىٰ لعنـه أبـو محمّـد عليه السلام وأمـر شـيعته بلعنـه، والدعـاء عليـه لقطـع الأمـوال، لعنـه الله. قـال عـليُّ بـن سـلمان بـن رشـيد العطّـار البغـدادي: فلعنـه أبـو محمّـد عليه السلام، وذلـك أنَّـه كانـت لأبي محمّـد عليه السلام خزانـة، وكان يليهـا أبـو عـليّ بـن راشـد رحمه الله، فسُـلِّمت إلىٰ عـروة، فأخـذ منهـا لنفسـه ثـمّ أحـرق باقـي مـا فيهـا، يغايـظ بذلـك أبـا محمّـد عليه السلام، فلعنـه وبَـرئ منـه ودعـا عليـه، فـما أمهـل يومـه ذلـك وليلتـه حتَّـىٰ قبضـه الله إلىٰ النـار. فقـال عليه السلام: «جلسـت لـربّي ليلتـي هـذه كـذا وكـذا جلسـة، فـما انفجـر عمـود الصبـح ولا انطفـىٰ ذلـك النـار حتَّـىٰ قتـل الله عـدوَّه لعنـه الله».

فأنـت تلاحـظ النـصَّ وشـدَّة الألم الـذي أُصيـب بـه الإمـام العسـكري عليه السلام مـن هـذا الوكيـل الـذي كان يرعـىٰ شـؤوناً للإمـام ولكنَّـه ومـع شـديد الأسـف انحرف، وأيَّ انحـراف إنَّـه الـذي يجعلـه يقـوم بأعـمال ليـس الهـدف منهـا إلَّا أن يغيـض الإمـام، فـأيّ قلـب مريـض يمتلـك هـذا الدهقـان حتَّـىٰ إنَّ خـوف الإمـام عـلىٰ شـيعته مـن أمـره اسـتدعىٰ منـه أن يجلـس عـدَّة جلسـات للدعـاء، فلاحـظ النـصَّ كيـف يقـول: «جلسـت لـربّي ليلتـي هـذه كـذا وكـذا جلسـة...».

فالإمـام المعصـوم الـذي مهمَّتـه هدايـة النـاس والأخـذ بأيديهـم إلىٰ الاسـتقامة بعـد يأسـه مـن هـذا الرجـل والـذي كان مـن المقرَّبـين اضطـرَّ إلىٰ أن يُكـرِّر جلسـات الدُّعـاء ليتخلَّـص مـن شرِّه.

وأنـت تلاحـظ جليّـاً أثـر دعـاء الإمـام فإنَّـه مـا إن طلـع الصبـاح حتَّـىٰ سَـلَّط الله تعـالىٰ عـلىٰ هـذا الرجـل مـن يقتلـه بسـبب دعـاء الإمـام عليه السلام عليـه، وبقـي ذكـره السـيِّئ إلىٰ يومنـا هـذا.

أمـلي أن لا تغـادر هـذه الصفحـة وترجـع إلىٰ الروايـة وتقرأهـا في عـدَّة جلسـات وتتأمَّـل فيهـا لـترىٰ حـال أشـخاص كانـوا بحسـب الظاهـر يُحسَـبون عـلىٰ الأئمَّـة ولكـن ومـع شـديد الأسـف خسـروا أنفسـهم ولاحقتهـم اللعنـة عـلىٰ مـرِّ التأريـخ، هـذا نمـوذج.

والنموذج الآخر هو أحمد بن هلال العبرتائي الذي دعا عليه الإمام عدَّة مرّات ولعنه وبرأ منه، وذكر أنَّ ما أوجب حصول ما حصل لابن هلال هو «لم يدعُ المرء ربَّه بأن لا يزيغ قلبه بعد أن هداه، وأن يجعل ما منَّ به عليه مستقرّاً ولا يجعله مستودعاً. وقد علمتم ما كان من أمر الدهقان عليه لعنة الله وخدمته وطول صحبته، فأبدله الله بالإيمان كفراً حين فعل ما فعل، فعاجله الله بالنقمة ولا يمهله»(٤٧).

وإليك النصُّ الكامل الذي رواه الشيخ الطوسي رحمه الله في اختيار معرفة الرجال عن أحمد بن هلال: عليُّ بن محمّد بن قتيبة، قال: حدَّثني أبو حامد أحمد بن إبراهيم المراغي، قال: ورد على القاسم بن العلاء نسخة ما خرج من لعن ابن هلال، وكان ابتداء ذلك أن كتب عليه السلام إلى قوامه بالعراق: «احذروا الصوفي المتصنِّع»، قال: وكان من شأن أحمد بن هلال أنَّه قد كان حجَّ أربعاً وخمسين حجَّة، عشرون منها على قدميه. قال: وكان رواة أصحابنا بالعراق لقوه وكتبوا منه، وأنكروا ما ورد في مذمَّته، فحملوا القاسم بن العلا على أن يراجع في أمره. فخرج إليه: «قد كان أمرنا نفذ إليك في المتصنِّع ابن هلال لا رحمه الله بما قد علمت، لم يزل لا غفر الله له ذنبه ولا أقاله عثرته يداخل في أمرنا بلا إذن منّا ولا رضىً يستبدُّ برأيه، فيتحامى من ديوننا، لا يُمضي من أمرنا إلَّا بما يهواه ويريد، أرداه الله بذلك في نار جهنَّم، فصبرنا عليه حتَّى تبر الله بدعوتنا عمره. وكنّا قد عرَّفنا خبره قوماً من موالينا في أيّامه لا رحمه الله، وأمرناهم بإلقاء ذلك إلى الخاصّ من موالينا، ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال لا رحمه الله، وممَّن لا يبرء منه. وأعلم الإسحاقي سلَّمه الله وأهل بيته ممَّا أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع من كان سألك ويسألك عنه من أهل بلده والخارجين ومن كان يستحقُّ أن يطَّلع على ذلك، فإنَّه لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يؤدِّيه عنّا ثقاتنا، قد عرفوا بأنَّنا نفاوضهم سرّنا، ونحمله إيّاه إليهم، وعرفنا

ما يكون من ذلك إن شاء الله تعالىٰ». وقال أبو حامد: فثبت قوم علىٰ إنكار ما خرج فيه، فعاودوه فيه فخرج: «لا شكر الله قدره لم يدعُ المرء ربَّه بأن لا يزيغ قلبه بعد أن هداه، وأن يجعل ما من به عليه مستقرّاً ولا يجعله مستودعاً. وقد علمتم ما كان من أمر الدهقان عليه لعنة الله وخدمته وطول صحبته، فأبدله الله بالإيمان كفراً حين فعل ما فعل، فعاجله الله بالنقمة ولا يمهله، والحمد لله لا شريك له، وصلّىٰ الله علىٰ محمّد وآله وسلَّم»(٤٨).

وبمراجعة النصِّ مرَّة أُخرىٰ - الذي تحدَّث عن قضيَّة أحمد بن هلال -، نجد أنَّ هذا الرجل لشدَّة ما كان ظاهره مقبولاً لدىٰ العامَّة من الناس كان هناك تشكيك في صدور تلك التوقيعات الذامَّة له عن المعصوم عليه السلام، وأنَّها بقصد ذمِّه وبيان حقيقة الحال فيه حتَّىٰ استدعىٰ الأمر أن يصدر في حقِّه وبيان حاله أكثر من مكاتبة مع الأئمَّة عليهم السلام، وهذا الأمر لا يهمُّ كثيراً في محلِّ بحثنا وإنَّما أردنا الإشارة إليه لغرض أن نلتفت إلىٰ بعض الأشخاص وخطرهم علىٰ المذهب والدين.

والذي يهمّنا في محلِّ بحثنا إذا رجعنا إلىٰ روايتنا آنفة الذكر أنَّنا نجد في كلام الإمام عليه السلام هذه المقاطع، ونجعلها ضمن نقاط، ليسهل علينا استفادة مداليلها:

١ - قوله عليه السلام: «قد كان أمرنا نفذ إليك في المتصنِّع ابن هلال لا رحمه الله».

٢ - قوله عليه السلام: «بما قد علمت لم يزل لا غفر الله له ذنبه».

٣ - قوله عليه السلام: «ولا أقال عثرته يداخل في أمرنا بلا إذن منّا».

٤ - قوله عليه السلام: «لا يُمضي من أمرنا إلَّا بما يهواه ويريده أرداه الله بذلك في نار جهنَّم».

٥ - قوله عليه السلام: «فصبرنا عليه حتَّىٰ تبر الله بدعوتنا عمره».

٦ - قوله عليه السلام: «وكنّا قد عرَّفنا خبره قوماً من موالينا في أيّامه لا رحمه الله».

٧ - قوله عليه السلام: «وأمرناهم بإلقاء ذلك إلىٰ الخاصّ من موالينا ونحن نبرأ إلىٰ الله من ابن هلال».

٨ – قوله عليه السلام: «من ابن هلال لا رحمه الله وممَّن لا يبرأ منه».

مع ذلك كلّه وهذا التشديد والتعدُّد في الدُّعاء والطَّرد من الرحمة الإلهيَّة ولزوم الحذر من هذا الشخص إلَّا أنَّ جماعة أنكروا أن يكون مثل هذا النمط حديث الأئمَّة عليهم السلام في حقِّ الرجل، فخرج توقيع آخر من الإمام عليه السلام يدعو فيه عليه، ويُؤكِّد ما خرج فيه من الأئمَّة، وهو النصُّ التالي:

قوله عليه السلام: «لا شكر الله قدره لم يدعُ المرء ربَّه بأن لا يزيغ قلبه».

لاحظ معي هذه المقاطع المتعدِّدة من دعاء الإمام عليه السلام على هذا الرجل الذي كان من أصحاب الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام، والذي عاش عمراً قارب التسعين سنة حيث وُلِدَ (١٨٠هـ) وتوفِّي (٢٦٧هـ) فيكون عمره (٨٧) سنة تقريباً، ولم ينحرف إلَّا أواخر عمره حيث إنَّه كان يرىٰ إمامة الإمام المهدي عليه السلام، وأنَّ السفير الأوَّل عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه هو وكيل للإمام المهدي عليه السلام، وكان يرىٰ نفسه المؤهَّل للوكالة بعد السفير الأوَّل، ولـمَّا عيَّن الإمام المهدي عليه السلام السفير الثاني وهو ابن العمري أي محمّد بن عثمان الخلّاني توقَّف ولم يقل بنيابته عن الإمام، فقال له جماعة من الشيعة: ألَا تقبل أمر أبي جعفر محمّد بن عثمان وقد نصَّ عليه الإمام المفترض الطاعة؟ فقال لهم: لم أسمعه بنفسي ينصُّ عليه بالوكالة، وأنا لم أُنكر أباه عثمان بن سعيد، أمَّا أن أقول بأنَّ ابنه هو وكيل صاحب الزمان فلا أجسُر علىٰ ذلك. فقال له الشيعة: قد سمعه غيرك من العلماء وكبراء الشيعة، فأجابهم قائلاً: أنتم وما سمعتم. فلعنوه وتبرَّأوا منه. وقد خرجت توقيعات بالبراءة منه نقلنا إليك نصوص بعضها، فلاحظ وأنت تقرأ النصَّ الآنف الذكر كيف أنَّ الإمام عليه السلام أكثَرَ من الدعاء علىٰ هذا الرجل حيث قال عليه السلام: «لا رحمه الله...، لا غفر الله له...، لا أقال عثرته...، أرداه الله بذلك في النار...، تبر الله بدعوتنا عمره...، لا رحمه الله...، نبرأ إلىٰ الله...، لا رحمه الله...، لا شكر الله قدره...»، هذه أدعية من

إمام مفترض الطاعة وهو الإمام المهدي عليه السلام، بل إنَّ الإمام في التوقيع الآنف الذكر يبرأُ إلىٰ الله ممَّن لا يبرأ منه، فأيّ فعل شنيع قام به هذا ليقع فيما وقع فيه ويصدر ما صدر عن إمام الزمان عليه السلام عليه؟!

أتعلم أيُّها القارئ العزيز أنَّ هذا الرجل عاش ثمانين سنة من عمره علىٰ ظاهر الاستقامة، وأنَّه إنَّما انحرف في (السبع) سنين الأخيرة من عمره؟!

وهل تعلم أنَّ أثر الدعاء الذي صدر عليه من الإمام عليه السلام ماذا صنع به؟ وماذا غيَّر من أحواله.

دقِّق معي فيما سأنقل لك، ولاحظ أثر دعاء الإمام عليه السلام علىٰ الإنسان وما يجلبه من شقاء وهلاك أبدي حيث ينقل الصدوق رحمه الله علىٰ ما نقله السيِّد الخوئي قدس سره[٤٩] في معجم رجال الحديث قال: قال الصدوق رحمه الله: (... حدَّثنا شيخنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: سمعت سعد بن عبد الله يقول: ما رأينا ولا سمعنا بمتشيّع رجع عن تشيّعه إلىٰ النصب إلَّا أحمد بن هلال).

تأمَّل أيُّها العزيز في كلام محدِّث الطائفة الفقيه الصدوق رحمه الله وهو ينقل عن أُستاذه هذه المقالة، وتدبَّر آثار دعاء الإمام عليه السلام وما يجلبه من شقاء علىٰ الإنسان، ولا شكَّ أنَّ هذا الشخص لولا الاستعداد الذاتي في داخله واقتضاء الانحراف في قلبه لما آلت أُموره إلىٰ ذلك، فكان ما يحمل من علم ومكانة في المجتمع وبالاً عليه وحسرةً يوم القيامة.

* * *

الهوامـــــــــــش

١. الوسائل: ج٧ ص٢٧، وفي بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ج٩٠، ص٣٠٢.

٢. علل الشرائع للشيخ الصدوق ١: ١٦٢.

٣. في بحار الأنوار ٣: ٣٢٩: «... إنَّ موسىٰ بن عمران عليه السلام لـمَّا ناجىٰ ربَّه (عزَّ وجلَّ) قال: يا ربِّ، أبعيد أنت منّي فأُناديك أم قريب فأُناجيك؟ فأوحىٰ الله (جلَّ جلاله) إليه: أنا جليس من ذكرني...»، وأيُّ توحيد أعلىٰ من أن يكون العبد جليساً مع الله تعالىٰ؟

٤. لـمَّا كان الله تعالىٰ مالكاً حقيقياً للأشياء المخلوقة ومنها الإنسان، وأنَّه تعالىٰ أقرب إلىٰ هذا الإنسان من نفسه ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (الأنفال: ٢٤)، وليس المراد بالقلب هنا الجسم المادّي، بل هو حقيقة الإنسان ونفس وجوده، فبمقتضىٰ هذه الملكية صارت عبوديتهم له تعالىٰ عبودية حقيقية أيضاً.

حصل بذلك أنَّ له تعالىٰ القدرة الحقيقية علىٰ الحيلولة بينهم وبين أيِّ شيء آخر وإن قرب منهم وأُبرم إبراماً، فكانت إجابة الدعوة منه تعالىٰ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠) لا يمنعها، ويمنع تحقّقها إلَّا ما يجعله العبد مانعاً.

والإذعان بهذه الحقيقة ذات البعدين، بعد الملكية الحقيقية من جهة الله تعالىٰ، وبعد المملوكية والعبودية الحقيقة من جهة العبد، هو التوحيد.

فما يشاؤه الله تعالىٰ في ملكه سيقع وما لم يشأ لا يقع، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥).

فإذا عرفنا هذه الحقيقة عرفنا بمقتضاها مفاد الآيات الكريمة التي تحدَّثت بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦).

لذلك نجد الكثير من الآيات فرَّعت الدعاء علىٰ الإيمان كما مرَّت في ما سطرناه من نصوص قرآنية تقدَّمت. لاحظ: الميزان ٢: ٣٠ - ٣٥.

لذلك قسَّم بعض العلماء الدعاء لله تعالىٰ إلىٰ ثلاثة وجوه:

ضرب منها: توحيده...، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠).

والضرب الثاني: مسألة العفو والرحمة وما يقرب منها، كقولهم: (اللَّهُمَّ اغفر لنا).

والضرب الثالث: مسألة الحظِّ في الدنيا، كقولهم: (اللَّهُمَّ ارزقني مالاً وولداً). أضواء علىٰ دعاء كميل لعزِّ الدين بحر العلوم: ١٤.

الهوامـــــــــــش

٥. ففي الوسائل ٧: ٢١/ أبواب الدعاء: باب ١/ ح ١: عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنَّ الله (عزَّ وجلَّ) يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]»، قال: «هو الدعاء».

فالإمام هنا يُعبِّر عن العبادة بأنَّها الدعاء وأنَّ التكبُّر عنها يوجب دخول جهنَّم. وفي نصٍّ آخر في نفس المصدر (ج ٢) يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ الدعاء هو العبادة»، وهو مطلق يشمل العبادات الجوارحية والجوانحية. وفي البحار ٩٠: ٢٩٤: عن أبي عبد الله عليه السلام: «... عليكم بالدعاء فإنَّكم لا تتقرَّبون بمثله...».

في بحار الأنوار ٣: ٨: سأل بعض أصحابنا الصادق عليه السلام فقال له: أخبرني أيّ الأعمال أفضل؟ قال عليه السلام: «توحيدك لربِّك».

وفي الوسائل ٧: ٢٧: عن الإمام عليٍّ عليه السلام: «الدعاءُ مخُّ العبادة».

وفيه ٧: ٣٠: عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «أفضل العبادة الدعاء».

وبملاحظة حديث «توحيدك لربِّك» وهذا الحديث يظهر أنَّ الدعاء أفضل أنماط التوحيد التي يحثُّ عليها الشارع المقدَّس.

بل في الوسائل ٧: ٣٠: سُئِلَ الباقر عليه السلام: أيُّ العبادة أفضل؟ فقال عليه السلام: «ما من شيء أفضل عند الله (عزَّ وجلَّ) من أن يسأل له ويُطلَب ممَّا عنده».

٦. الكافي ٢: ٤٦٦.

٧. الكافي ٢: ٤٦٦؛ وفي فلاح السائل للسيِّد ابن طاووس: ٢٨؛ والمجازات النبويَّة للشريف الرضي: ٢١٠.

٨. الوسائل ٧: ٢٧؛ وفي بحار الأنوار للعلَّامة المجلسي ٩٠: ٣٠٢.

٩. عن أبي جعفر عليه السلام: «الصلاة عمود الدين»، بحار الأنوار للعلَّامة المجلسي ٧٩: ٢١٨.

١٠. عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: «أيّها الناس - بعد كلام تكلَّم به - عليكم بالصلاة عليكم بالصلاة، فإنَّها عمود دينكم، كابدوا الليل بالصلاة، واذكروا الله كثيراً يُكفِّر سيِّئاتكم. إنَّما مثل هذه الصلوات الخمس مثل نهرٍ جارٍ بين يدي باب أحدكم يغتسل منه في اليوم خمس اغتسالات، فكما ينقىٰ بدنه من الدرن بتواتر الغسل فكذا ينقىٰ من الذنوب مع مداومته الصلاة، فلا يبقىٰ من ذنوبه شيء». (بحار الأنوار للعلَّامة المجلسي ٧٩: ٢٢٣).

١١. قال تعالىٰ: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ (الأنفال: ١١).

١٢. عن أبي عبد الله عليه السلام: «الوضوء علىٰ الوضوء نور علىٰ نور». (وسائل الشيعة للحرِّ العاملي ١: ٣٧٧).

الهوامـــــــــــش

١٣. عـن أبي عبـد الله عليه السلام: «إنَّ مفتـاح الصـلاة التكبـير». (وسـائل الشـيعة للحـرِّ العامـلي ٤: ٧١٤).

١٤. الكافي للشيخ الكليني ٢: ٤٦٧.

١٥. وسـائل الشـيعة للحـرِّ العامـلي ٧: ٢٧/ بـاب ٢/ الحديـث رقـم ٧ و١٥، وأيضـاً ٧: ٣٨/ بـاب ٨/ ح ٣.

حيـث ورد فيهـا: عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله: «مـا فُتِـحَ لأحـد بـاب دعـاء إلَّا فتـح الله لـه فيـه بـاب إجابة، فـإذا فُتِـحَ لأحدكـم بـاب فليجهـد، فـإنَّ الله لا يملُّ حتَّـىٰ تملّـوا».

وعـن الصـادق عليه السلام: «الدعـاء يـرد القضـاء بعـد مـا أُبـرم إبرامـاً، فأكثـر مـن الدعـاء، فإنَّـه مفتـاح كلِّ رحمـة، ونجـاح كلِّ حاجـة، ولا ينـال مـا عنـد الله (عـزَّ وجـلَّ) إلَّا بالدعـاء، وإنَّـه ليـس بـاب يكثـر قرعـه إلَّا يوشـك أن يُفتَـح لصاحبـه».

وعـن أبي عبـد الله عليه السلام: «... الدعـاء سـلاح المؤمـن، وعمـود الديـن، ونـور السـماوات والأرض».

١٦. وسـائل الشـيعة ٧: ٣٦/ بـاب ٧/ ح ٤، عـن أبي عبـد الله عليه السلام: «إنَّ الدعـاء يـردُّ القضـاء، ينقضـه كـما يُنقَـض السـلك وقـد أُبـرم إبرامـاً».

١٧. في الـكافي ٢: ٤٦٩: عـن الرضـا عليه السلام أنَّـه كان يقول لأصحابـه: «عليكـم بسـلاح الأنبيـاء»، فقيـل: ومـا سـلاح الأنبيـاء؟ قـال عليه السلام: «الدعـاء».

١٨. للدعـاء جملـة وافرة مـن الآداب والشـروط ذكرتها الكتـب المختصَّـة بالدعـاء كاليقـين بالدعـاء، وتسـمية الحاجـة، والهـام الدعـاء والتقـدّم فيـه، كـما أنَّ لـه أوقاتـاً خاصَّـة وأزمنـة معيَّنـة ذُكِـرَت في محلِّهـا.

راجـع لذلـك كتـاب الـكافي ٢: ٤٦٩/ كتـاب الدعـاء، وكذلـك بحـار الأنـوار (ج ٩٠/ كتـاب الدعـاء)، وكتـاب وسـائل الشـيعة (ج ٧/ بـاب الدعـاء). وسـنذكر بعـض الآداب المختصَّـة بالدعـاء للإمـام المهـدي عليه السلام.

١٩. في الـكافي ٢: ٤٧٣: عـن أبي عبـد الله عليه السلام يقـول: «إنَّ الله (عـزَّ وجـلَّ) لا يسـتجيب دعـاء بظهـر قلـبٍ سـاهٍ، فـإذا دعـوت فأقبـل بقلبـك».

٢٠. إنَّ دعـاء النبـيِّ صلى الله عليه وآله لأحـد يتمتَّـع بعـدَّة مميِّـزات، فهـو الوحيـد العـارف بـالله تعـالىٰ حـقَّ معرفتـه، وهـذه المعرفـة تجعـل مـن الدعـاء الصـادر منـه محـلّ قبـول عنـد الله تعـالىٰ إذا تقـدَّم فيـه، فضـلاً عـن معرفـة النبـيِّ الأكـرم بمقتضـىٰ عصمتـه وعلمـه الحضـوري بوقائـع الأشـياء ومـوارد اسـتجلاب الخـير واسـتدراره وسـاعات ذلـك وأزمانـه، فـلا يكـون منـه خـلاف الواقـع ونفـس الامـر، وأيـن هـذا مـن دعـاء شـخص مهـما ازداد رقيّـه المعنـوي وكملـت نفسـه بالطاعـة فهـو في

الهوامـــــــــــش

حضيـض العلـم الحصـولي وتخبّـط الظنـون و... التـي لا يجـزم بظـروف مطابقتهـا للواقـع ومـن عدمـه؟!

فكيـف يُقـاس هـذان النحـوان مـن الدعـاء بعضهـم ببعـض؟!

٢١. عـن الصـادق عليه السلام: «سُـئِلَ أمـير المؤمنـين عليه السلام عن معنـىٰ قـول رسـول الله صلى الله عليه وآله: إنّي مخلـف فيكـم الثقلـين كتـاب الله وعـترتي، مـن العـترة؟ فقـال عليه السلام: أنـا والحسـن والحسـين والأئمّـة التسـعة مـن ولـد الحسـين تاسـعهم مهديهـم وخاتمهـم، لا يفارقـون كتـاب الله ولا يفارقهـم حتّـىٰ يـردوا عـلىٰ رسـول الله صلى الله عليه وآله حوضـه». (كـمال الديـن للصـدوق: ٢٤٠).

٢٢. في الـكافي ٢: ٢٧٨/ بـاب أنَّ للأئمَّـة عهـد مـن الله (عـزَّ وجـلَّ): عـن عمـرو بـن الأشـعث، قـال: سـمعت أبـا عبـد الله عليه السلام يقـول: «أتـرون المـوصي منّـا يـوصي إلىٰ مـن يريـد؟ لا والله ولكـن عهـد مـن الله ورسـوله صلى الله عليه وآله لرجـل فرجـل حتّـىٰ ينتهـي الأمـر إلىٰ صاحبـه».

وفي الـكافي ١: ٢٧٥: عـن الحـارث بـن المغـيرة، عـن أبي عبـد الله عليه السلام، قـال سـمعته يقـول: «قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله: نحـن في الأمـر والفهـم والحـلال والحـرام نجـري مجـرىٰ واحـد، فأمّـا رسـول الله صلى الله عليه وآله وعـليٌّ عليه السلام فلهـما فضلهـما».

وفي كـمال الديـن للشـيخ الصـدوق: ٣٨١: عـن أبي هاشـم داود بـن القاسـم الجعفـري، قـال: سـمعت أبـا الحسـن صاحـب العسـكر عليه السلام يقـول: «الخلـف مـن بعـدي ابنـي الحسـن، فكيـف لكـم بالخلـف مـن بعـد الخلـف؟»، فقلـت: ولِـمَ جعلنـي الله فـداك؟ فقـال: «لأنَّكـم لا تـرون شـخصه، ولا يحـلُّ لكـم ذكـره باسـمه»، قلـت: فكيـف نذكـره؟ فقـال: «قولـوا: الحجَّـة مـن آل محمّـد صلى الله عليه وآله».

٢٣. في علـل الشـرائع للصـدوق ١: ٢٠٨: عـن أبي جعفـر عليه السلام، قـال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله: «... الأئمَّـة مـن ولـدك بهـم تُسـقىٰ أُمَّتـي الغيـث وبهـم يُسـتجاب دعاؤهـم...».

٢٤. في الـكافي ١: ١٩٣: عـن عـليِّ بـن جعفـر، عـن أبي الحسـن موسـىٰ عليه السلام، قـال: قـال أبـو عبـد الله عليه السلام: «إنَّ الله (عـزَّ وجـلَّ خلقنـا...، وبعبادتنـا عُبِـدَ الله (عـزَّ وجـلَّ)، ولولانـا مـا عُبِـدَ الله».

٢٥. في تهذيـب الأحـكام للشـيخ الطـوسي ٤: ١٤٤: عـن أبي سـيار، عـن أبي عبـد الله في حديـث طويـل جـاء فيـه: «... يـا أبـا سـيار، الأرض كلُّهـا لنـا، فـما أخـرج الله منهـا شيء فهـو لنـا...».

٢٦. كـمال الديـن للشـيخ الصـدوق: ٣٣٠/ بـاب ٣٢/ رقـم الحديـث ١٥.

٢٧. الـكافي ١: ١٨١/ بـاب معرفـة الإمـام والـردّ إليـه/ الحديـث ٢.

٢٨. الـكافي ١: ١٨١/ بـاب معرفـة الإمـام والـردّ

إليه/ الحديث ٤.

٢٩. الكافي ١: ١٨٥.

٣٠. الاحتجاج للشيخ الطبرسي ٢: ٢٢٨.

٣١. أمالي الشيخ المفيد: ١٨٧.

٣٢. الاحتجاج للشيخ الطبرسي ٢: ٣٢٥.

٣٣. بصائر الدرجات لمحمّد الحسن الصفّار: ٢٨٠.

٣٤. كشف المحجَّة لثمرة المهجة للسيِّد ابن طاووس: ١٥٣. وهذا الحديث المنقول علىٰ لسان السيِّد من كتاب الوسائل الذي نسبه إلىٰ الشيخ الكليني وإن كان ليس بأيدينا مصدره إلَّا أنَّ نقله علىٰ لسانه وإرساله بهذا الشكل يكشف عن كون تلك النسخة كانت بيده أو قُرِأت عليه، هذا فضلاً عن كونه موافق للأصل، وليس فيه مخالفة، وإنَّما أوردناه كشاهد في بيان المطلوب علىٰ لسان الأئمَّة عليهم السلام.

٣٥. بحار الأنوار ١٨: ٣١٩: تفسير عليّ بن إبراهيم: أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاء جبرئيل وميكائيل وإسرافيل بالبراق إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ... فوجدنا إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ فيمن شاء الله من أنبياء الله عليهم السلام قد جمعوا إليَّ، وأُقيمت الصلاة، ولا أشكُّ إلَّا وجبرئيل سيتقدَّمنا، فلمَّا استووا أخذ جبرئيل بعضدي فقدَّمني وأممتهم ولا فخر، ثمّ أتاني الخازن بثلاثة أواني: إناء فيه لبن، وإناء فيه ماء، وإناء فيه خمر، وسمعت قائلاً يقول: إن أخذ الماء غرق وغرقت أُمَّته، وإن أخذ الخمر غوي وغويت أُمَّته، وإن أخذ اللبن هدي وهديت أُمَّته، قال: فأخذت اللبن وشربت منه، فقال لي جبرئيل: هديت وهديت أُمَّتك، ثمّ قال لي: ماذا رأيت في مسيرك؟ فقلت: ناداني منادٍ عن يميني، فقال لي: أوَأجبته؟ فقلت: لا ولم ألتفت إليه، فقال: ذلك داعي اليهود، لو أجبته لتهوَّدت أُمَّتك من بعدك، ثمّ قال: ماذا رأيت؟ فقلت: ناداني منادٍ عن يساري، فقال لي: أوَأجبته؟ فقلت: لا ولم ألتفت إليه، فقال: ذاك داعي النصارىٰ لو أجبته لتنصَّرت أُمَّتك من بعدك، ثمّ قال: ماذا استقبلك؟ فقلت: لقيت امرأة كاشفة عن ذراعيها، عليها من كلِّ زينة الدنيا، فقالت: يا محمّد، أُنظرني حتَّىٰ أُكلِّمك، فقال لي: أفكلَّمتها؟ فقلت: لا كلَّمتها ولم ألتفت إليها، فقال: تلك الدنيا، ولو كلَّمتها لاختارت أُمَّتك الدنيا علىٰ الآخرة، ثمّ سمعت صوتاً أفزعني، فقال لي جبرئيل: أتسمع يا محمّد؟ قلت: نعم، قال: هذه صخرة قذفتها عن شفير جهنَّم منذ سبعين عاماً، فهذا حين استقرَّت».

٣٦. معجم رجال الحديث للسيِّد الخوئي/ الرقم ٣٨٣.

٣٧. الغيبة للطوسي: ص١٦١.

٣٨. الاحتجاج: ج٢، ص٤٦٩.

الهوامـــــــــــش

٣٩. غيبة الطوسي: ص٣٦٧.

٤٠. الغيبة للطوسي: ص٣٠٨.

٤١. بحار الأنوار: ج٥٣، ب٣١.

٤٢. الغيبة للطوسي: ص٣٧٤.

٤٣. بحار الأنوار: ج٥٣، ب٣١.

٤٤. الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٩٢.

٤٥. فقد ورد في رسالة الإمام الصادق عليه السلام: «أكثروا من أن تدعوا الله، فإنَّ الله يُحِبُّ من عباده المؤمنين أن يدعوه، وقد وعد الله عباده المؤمنين بالاستجابة، والله مصيِّر دعاء المؤمنين يوم القيامة لهم عملاً يزيدهم به في الجنَّة، فأكثروا ذكر الله ما استطعتم في كلِّ ساعة من ساعات الليل والنهار، فإنَّ الله أمر بكثرة الذكر له، والله ذاكر لمن ذكره من المؤمنين، واعلموا أنَّ الله لم يذكره أحد من عباده المؤمنين إلَّا ذكره بخير، فأعطوا الله من أنفسكم الاجتهاد في طاعته، فإنَّ الله لا يُدرَك شيء من الخير عنده إلَّا بطاعته واجتناب محارمه التي حرَّم الله في ظاهر القرآن وباطنه، فإنَّ الله تبارك وتعالىٰ قال في كتابه وقوله الحقُّ: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠]». (الكافي للشيخ الكليني ٨: ٧).

٤٦. اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي ٢: ٨٤٢.

٤٧. اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي ٢: ٨١٧؛ وفي البحار ٥٠: ٣١٩: (لم يدع المرزئة بأن لا يزيغ قلبه)، ولم يظهر لي ذلك.

٤٨. اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي ٢: ٨١٦ و٨١٧.

٤٩. معجم رجال الحديث للسيِّد الخوئي ٣: ١٤٩.